

الخلفية الشرعية للعمارة الإسلامية وانعكاساتها التربوية والاجتماعية
*The Shari'ah Foundations of Islamic Architecture
and Their Educational and Social Implications*

عمر محمودي¹

omar.mahmoudi@ummtto.dz

تاريخ النشر: 2026/03/15

تاريخ الاستلام: 2025/09/20

Received: 20/09/2025

published: 15/03/2026

ملخص المقال:

يبحث هذا المقال في الخلفية الشرعية التي قامت عليها العمارة الإسلامية، منطلقاً من إشكالية مفادها: إلى أي مدى أسهمت الأسس الشرعية في تشكيل ملامح العمارة الإسلامية، وتوجيهها للعلاقات الأسرية والاجتماعية، بما يضمن بيئة صالحة لتنشئة الأبناء تربيةً إيمانية وأخلاقية؟ يهدف البحث إلى الكشف عن الأسس القرآنية والحديثية التي وجهت العمران الإسلامي، وتحليل أثرها في التربية داخل البيت المسلم، خاصة في ما يتعلق ببناء وعي الأبناء بالقيم الإسلامية. وقد بُني البحث على ثلاثة محاور أساسية: تحديد الخلفية الشرعية للعمارة الإسلامية، بيان خصائصها ووظائفها التربوية، ثم تحليل انعكاساتها الاجتماعية على الأسرة وتربية النشء. واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي مدعوماً بالمنهج التاريخي والاستقرائي، قصد الجمع بين النصوص الشرعية والنماذج العمرانية. وتوصل البحث إلى أنّ العمارة الإسلامية لم تكن مجرد تنظيم للمكان، بل كانت أداة تربوية وحضارية، عززت قيم الخصوصية والسكينة، وتمت روح الانضباط والاحترام المتبادل، مما جعلها مرآة صادقة لمقاصد الشريعة وأداة عملية في بناء الإنسان والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: العمارة الإسلامية، تربية الأبناء، القيم الإسلامية، الخصوصية، العلاقات الاجتماعية، الفضاء المنزلي، القيم الأسرية.

Abstract:

This paper examines the Shari'ah-based foundations of Islamic architecture, addressing the question of how these principles shaped its forms and guided family and social relations, creating a suitable environment for the moral and spiritual upbringing of children. The study aims to highlight the Qur'anic and Prophetic foundations of Islamic architecture and analyze their educational impact within the Muslim household. It is structured into three axes: defining the Shari'ah foundations of Islamic architecture, exploring its features and educational functions, and analyzing its social implications. The research employs descriptive-analytical, historical, and inductive methods. Findings indicate that Islamic architecture was not merely spatial organization, but a civilizational and pedagogical tool that fostered privacy, tranquility, and Islamic values within family life.

Keywords: Islamic architecture, child upbringing, Islamic values, privacy, social relations, domestic space, family values.

Keywords: Islamic architecture, child upbringing, Islamic values, privacy, social relations, domestic space, family values.

¹ - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.

مقدمة:

يُعدّ العمران واحدًا من أبرز مظاهر الحضارة الإنسانية، إذ لا يكاد يخلو تاريخ أمة من أمم الأرض من نط عمراي يعكس رؤيتها للحياة، ونسقتها القيمي، وأسلوبها في التفاعل مع محيطها الاجتماعي والطبيعي. وقد تطوّرت العمارة على مر العصور كأداة لتلبية الحاجات المادية والوظيفية للإنسان، لكنها تجاوزت هذا البعد المادي لتتحول إلى خطاب حضاري وفكري يحمل في طياته رموزًا دينية وثقافية تعبّر عن هوية الشعوب، ونظرتها للكون والوجود والعلاقات الإنسانية.

وفي هذا السياق، تبرز العمارة الإسلامية كنموذج حضاري متميز، وكتجلّ مادي لمقاصد الشريعة الإسلامية وقيمها العليا، فهي لم تنشأ بمعزل عن الدين أو منفصلة عن التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع، بل قامت على أسس مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وسعت إلى تحقيق التوازن بين متطلبات الجسد وحاجات الروح، وبين مصلحة الفرد وحقوق الجماعة، فجاءت عمارة جامعة بين الجمال والوظيفة، وبين الخصوصية والانفتاح، وبين الذات والمحيط.

ومن هذا المنطلق، لم تكن العمارة الإسلامية مجرد هياكل مادية صامتة، بل شكّلت إطارًا فاعلاً في تنظيم العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة وخارجها، وأسهمت في ترسيخ قيم الاحترام المتبادل، وحفظ الخصوصية، وتحقيق السكينة والطمأنينة، سواء من خلال تصميم البيوت وتنظيم الفضاءات الداخلية، أو من خلال ضبط التفاعل مع الجيران والمجتمع، مما يجعلها مرآة حقيقية لروح الشريعة ومبادئها. وانطلاقًا من هذه الرؤية، يهدف هذا البحث إلى استكشاف الأسس الشرعية التي انبثقت منها العمارة الإسلامية، وتحليل الأثر التربوي والاجتماعي الذي مارسه هذه العمارة على أفراد الأسرة، لا سيما في ما يتعلّق بتربية الأبناء وبناء وعيهم القيمي داخل البيئة البيئية. فالعمارة الإسلامية لم تكن مجرد تنظيم للمكان، بل كانت أداة تربوية تُسهم في تشكيل السلوك، وترسيخ الانضباط، وتدريب النشء على احترام القيم الإسلامية من خلال الفضاءات التي تنمّي روح التواصل، وتحفظ الخصوصية، وتدعم التنشئة المتوازنة بين الحرية والانضباط. وتتبلور الإشكالية المركزية لهذا البحث في التساؤل الآتي:

إلى أي مدى أسهمت الخلفية الشرعية التي تأسست عليها العمارة الإسلامية في تشكيل أنساقها المادية والتنظيمية، وفي توجيه العلاقات الاجتماعية داخل البيت، بما يوفّر بيئة مناسبة لتنشئة الأبناء تربية إيمانية وأخلاقية؟ وما هي أبرز القيم التربوية والاجتماعية التي نجحت هذه العمارة في تجسيدها؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي في تتبع مفاهيم العمارة الإسلامية وبيان خصائصها، والمنهج التاريخي في تأصيل نشأتها وتطورها ضمن سياقها الديني والحضاري، كما تمّ توظيف المنهج الاستقرائي في جمع النصوص الشرعية والنماذج العمرانية، ثم استخراج القواعد العامة والتأثيرات الاجتماعية المترتبة عنها.

ولقد تناولت عدد من الدراسات موضوع العمارة الإسلامية من زوايا مختلفة، منها: منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية، وفقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري (إبراهيم عبد الباقي، 1993م)، والمنظور الإسلامي للنظرية العمرانية (دينا فكري جمال إبراهيم، 2017م)، والمضمون الإسلامي وأثره في بلورة الرؤية التصميمية للمسكن المعاصر (محمد عبد الستار عثمان، 1988م)، وغيرها من الأبحاث التي ركّزت على الجوانب العمرانية والاجتماعية والثقافية. غير أنّها لم تتناول بوضوح الخلفية الشرعية

التي استند إليها المعماري المسلم في تصور البناء وتقسيم فضاءاته، ولا آثارها التربوية والاجتماعية كما حاول هذا البحث معالجتها بصورة مباشرة ومتكاملة.

ويأتي هذا البحث في إطار محاولة لرדם الهوة بين الدراسات العمرانية التقليدية التي تتناول العمارة من منظور تقني أو فني، والدراسات الإسلامية التي تنظر إلى العمران كجزء من منظومة متكاملة من القيم والمقاصد، وذلك من خلال تحليل متكامل يُبرز كيف استطاعت العمارة الإسلامية أن تكون وسيلة لتحقيق السكينة، وتعزيز الروابط الاجتماعية، والارتقاء بالسلوك الفردي والجماعي على السواء.

المطلب الأول العمارة الإسلامية وتكوينها المفاهيمي

تميّزت العمارة الإسلامية منذ نشأتها بكونها ليست مجرد نخط إنشائي أو أسلوب فني في البناء، بل هي عبارة عن منظومة حضارية متكاملة تعكس التصور الإسلامي للإنسان والكون والمجتمع، حيث نشأت هذه العمارة وتطورت في كنف العالم الإسلامي منذ القرن السابع الميلادي، متأثرة بتعاليم الدين الإسلامي ومفاهيمه الروحية والاجتماعية، فكانت تجسيداً عملياً لقيم الإسلام في مختلف أبعاده. وقد أشار حاج إسماعيل (2022) إلى أن المبادئ التي قامت عليها هذه العمارة "إما تنبع من فهم فلسفة الإسلام ومقاصده، أو أنها في كثير من الأحيان ناتجة عن فهم وتطبيق أحكام الإسلام". وعليه، فإن العمارة الإسلامية لم تكن مجرد بناء مادي، بل شكلاً من أشكال التعبير الثقافي والفكري عن الهوية الإسلامية.

ورغم تأثرها بعدد من الحضارات السابقة كالفارسية والبيزنطية والرومانية، إلا أن العمارة الإسلامية ما لبثت أن طوّرت لنفسها طابعاً مميزاً يجمع بين الوظيفة الجمالية والدلالات الروحية، وبين الخصوصية المجتمعية والبعد الإنساني. لقد تجاوزت الوظيفة التقليدية للعمران، والمتمثلة في توفير الحماية من الحر والبرد، كما أشار ابن خلدون (1984، ص406)، إلى بُعد أعمق يتعلّق ببناء الإنسان وترسيخ القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تؤسس للمجتمعات الحضارية. وفي هذا السياق، يرى مالك بن نبي (2000، ص43) أن الحضارة ليست مجرد عمران مادي، بل هي: "مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده، في كل طور من أطوار وجوده، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه".

إن العمارة الإسلامية بهذا المعنى تتجاوز كونها فنّاً هندسياً إلى كونها أداة لبناء الإنسان والمجتمع معاً؛ فهي عمارة تُعنى بتوازن الروح والمادة، وتعمل على غرس السلوك الإيماني، وتوفير بيئة تدعم التأمل وتعزز الارتباط بالقيم الدينية والاجتماعية، من خلال تكوين فضاءات تبعث على الراحة، والسكينة، والتكافل.

ومن أبرز أوجه التميّز التي جعلت من العمارة الإسلامية موضوعاً متفرداً في الدراسات الفكرية والمعمارية، هو ارتباطها العميق بالهوية الدينية والثقافية للمسلمين، مقارنة بغيرها من العمارات المرتبطة بأديان أو ثقافات أخرى، فنادرًا ما نجد في الأدبيات مفاهيم شائعة مثل "العمارة المسيحية" أو "العمارة الهندوسية"، على الرغم من غزارة الإنتاج المعماري في تلك الحضارات، ويُعزى هذا التميّز في العمارة الإسلامية إلى سببين رئيسيين:

- أولاً وحدة الهوية الثقافية تحت مظلة الإسلام: رغم تنوّع الأعراق واللغات والمناطق الجغرافية التي ينتمي إليها المسلمون، ظلّت العمارة التي شيّدها تتسم بسمات موحّدة تعكس روح الإسلام كما تم الإشارة إليه من قبل؛ فالمساجد، والمدارس، والمكتبات، والحمامات،

وسائر المرافق العامة، بُنيت وفق نسق وظيفي وتنظيمي يعكس روح الجماعة ويجسّد مقاصد الشريعة، مما جعل من العمارة الإسلامية علامة فارقة على امتداد العالم الإسلامي.

- ثانيًا تجسيد المبادئ الإسلامية في الحياة اليومية: لم تكن العمارة الإسلامية مجرد وسيلة جمالية، بل شكّلت امتدادًا عمليًا لمنظومة الإسلام القيمية، إذ حملت في تفاصيلها مفاهيم العدل، والترابط، واحترام الآخر، وحفظ البيئة والخصوصية. ووفقًا لريتشارد إتنغهاوزن وآخرين (2012، ص19)، فإن مصطلح "إسلامي" حينما يُقرن بالفن أو العمارة، لا يعبر فقط عن الانتماء الديني، بل عن كل الآثار والمنشآت التي أنتجها المسلمون أو تأثرت بنمط حياتهم وفكرهم، داخل كياناتهم الاجتماعية والثقافية.

وفي ضوء هذا التصور، فإن العمارة الإسلامية لا تُفهم باعتبارها تجمّعًا لأنماط زخرفية أو أشكال هندسية فقط، وإنما باعتبارها أداة ثقافية وتربوية تُسهم في بناء الفرد وتنظيم المجتمع، وتُرسّخ قيم الإسلام في صورة مادية محسوسة.

هذا، ولقد أشار القرآن الكريم إلى الوظيفة الروحية للبيت، حين جعله موضعًا للسكنى والراحة، كما في قوله تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا...} -سورة النحل، جزء من الآية 80-، وفسّر الشعراوي (1997، ج13، ص8122) هذا المفهوم بقوله: "كلمة سكن مأخوذة من السكون، والسكون ضد الحركة... فالبيت يُسمّى سكنًا؛ لأن الإنسان يلجأ إليه ليرتاح فيه من حركة الحياة خارج البيت". فالبيت في الإسلام ليس مجرد مأوى، بل محطة لإعادة شحن النفس وبناء التوازن الداخلي، ليتسّى للإنسان استئناف دوره في بناء الحضارة والمجتمع، أيًا كانت وظيفته أو موقعه الاجتماعي.

وانطلاقًا من هذا الفهم، برزت أهمية العمارة الإسلامية في سعيها إلى تجسيد مقصد السكنى النفسية والاجتماعية، ليس فقط من خلال الشكل الخارجي للبناء، بل من خلال التنظيم الداخلي للفضاءات، بما يحقق الانسجام الأسري، والتواصل الإيجابي، والتفاعل البناء بين أفراد البيت الواحد.

المطلب الثاني أثر العمارة الإسلامية على المستوى الفردي

تُعد العمارة الإسلامية نتاجًا حضاريًا يعكس المبادئ القيمية للدين الإسلامي، فهي لا تؤدي دورها الوظيفي فقط في توفير المأوى، بل تمتد لتؤثر على البعد النفسي والسلوكي للأفراد داخل الأسرة، فمن خلال تنظيم الفضاءات المنزلية بما يُراعي الخصوصية، ويُوفّر الهدوء، ويُعزّز الانتماء الروحي، تُسهم هذه العمارة في بناء بيئة متوازنة تحفّز التربية الروحية العقيدية، والتربية السلوكية للأفراد، وهذا ما سنحاول بيانه من خلال هذا المطلب.

• الفرع الأول تحفيز التربية الروحية والعقيدية:

تُجسّد العمارة الإسلامية نموذجًا فريدًا من التفاعل بين الفضاء المادي والقيم الروحية، حيث لم تُصمم البيوت الإسلامية وفق احتياجات الحياة المعيشية فقط، بل صيغت لتكون حاضنة تربوية تعزز العقيدة، وتُنمّي الجانب الروحي لدى الأفراد. وعليه، فإن العمارة الإسلامية تتجاوز كونها فنًا بصريًا أو هندسة وظيفية، لتصبح شريكًا خفيًا في بناء الوعي الإيماني والتربية العقيدية داخل البيت المسلم، من خلال تجسيد القيم في هيئة معمارية تُربّي بالسكون والسكنى، ويتجلى ذلك من خلال:

أ- تهيأت أماكن خاصة بالعبادة:

من سنن العمارة الإسلامية أنها تراعي تخصيص أماكن داخل البيت تُستخدم للصلاة والذكر وقراءة القرآن، كمحراب صغير أو زاوية هادئة، مما يُرَبِّي على الارتباط بالله في الحياة اليومية. هذا، ولقد استمدت العمارة الإسلامية هذا الفكر أو المفهوم في التصميم من أحاديث من مثل ما أخرجه (البخاري، 2001) "أن عتبان بن مالك وهو من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدرًا من الأنصار أنه أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله قد أنكرت بصري، وأنا أصلي لقومي فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم، لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، ووددت يا رسول الله، أنك تأتيني فتصلي في بيتي، فأخذته مصلي، قال: فقال له رسول الله ﷺ: (سأفعل إن شاء الله) قال عتبان: فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له، فلم يجلس حتى دخل البيت، ثم قال: (أين تحب أن أصلي من بيتك) قال: فأشرت له إلى ناحية من البيت، فقام رسول الله ﷺ فكبر، فقمنا فصفنا فصلي ركعتين ثم سلم..." (كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، حديث رقم: 425، ج1، ص92-93). يقول (ابن رجب، 1996)، في شرح هذا الحديث "مساجد البيوت، هي أماكن الصلاة منها، وقد كان من عادة السلف أن يتخذوا في بيوتهم أماكن معدة للصلاة فيها" (ج3، ص169). ومما يجدر الإشارة إليه هنا هو أن اتخاذ أماكن خاصة في البيوت لا يعني أنها تأخذ حكم المسجد في تحصيل الثواب وصلاة الجماعة "فلا يحصل بها فضيلة الصلاة في المساجد، وإنما حكم ذلك حكم من صلى في بيته جماعة وترك المسجد". (ابن رجب، 1996 ج3، ص169).

- انعكاسات قهيات أماكن خاصة بالعبادة في البيوت على الأطفال: إنّ لاتخاذ أماكن خاصة للعبادة في البيوت تأثير كبير جدا على التربية السليمة للأطفال؛ بحيث تُسهم بشكل فعال في تنمية الوعي الديني للأطفال، وترسيخ القيم الإسلامية في نفوسهم، فهذا الفضاء الروحي، وإن كان بسيطاً في مظهره، يحمل في طياته أثراً تربوياً عميقاً، يتجاوز البُعد الشكلي إلى التأثير السلوكي والنفسي، إذ يُسهم هذا الركن التعبدية في تعويد الطفل على أداء العبادات بشكل تلقائي ومنظم، من خلال رؤيته اليومية للوالدين وهم يُمارسون شعائهم الدينية في جو من الخشوع والسكينة، كما أن تخصيص هذا المكان يزرع في الطفل قيماً مثل الترتيب، احترام الوقت، والنظافة، وهي سلوكيات يُشجّع عليها الدين، وتدعم جوانب التربية المتكاملة، كما يُساعد على تكوين علاقة وجدانية بين الطفل والدين، حيث يصبح للعبادة مكان ثابت في ذاكرته، يرتبط بالهدوء والطمأنينة، مما يعزز انتماءه للإسلام على مستوى المشاعر والسلوك، بالإضافة إلى ذلك، يُوفر هذا الفضاء بيئة مناسبة لتعليم الطفل أحكام الطهارة، وآداب الصلاة، والدعاء، بعيداً عن التلقين الجاف، بل من خلال الممارسة العملية والتفاعل اليومي، ما يُسهم في بناء قاعدة دينية متينة منذ سن مبكرة، والنبي ﷺ يقول (سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: ... وشاب نشأ في عبادة ربه...). (البخاري، 2001، كاتخاذ الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، جزء من الحديث رقم: 660، ج1، ص133). ومن هذا المنطلق، يُمكن القول إن تخصيص مكان للعبادة ضمن الفضاء المنزلي ليس مجرد ترف معماري، بل هو وسيلة فعالة لتعزيز التربية الدينية السليمة للأبناء، ودعم الروابط الروحية داخل الأسرة.

ب- الاقتصاد والبساطة في البناء وتجنب التفاخر والرياء:

العمارة الإسلامية تتأسس على مفهوم التوسط والاعتدال، وهو من صميم تعاليم الإسلام، حيث يُطلب من المسلم ألا يُسرف، وألا ييخل، وألا يتفاخر، لذا، نجد أن البساطة والاقتصاد في البناء تُعدّ من السمات الجوهرية التي تميز العمارة الإسلامية عن غيرها من

الأشكال المعمارية في الحضارات الأخرى، إذ تقوم هذه العمارة على مبدأ التوازن بين: الجمال والوظيفة، وبين الروح والمادة؛ حيث يكون الجمال خادماً للروح، لا وسيلة للتباهي، ولقد استندت العمارة الإسلامية في ذلك إلى:

أولاً: القيم الإسلامية التي تدعو إلى التوسط، وتحذر من الإسراف والتكلف بصفة عامة، كقوله تعالى {كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} -سورة البقرة، جزء من الآية 143-. يقول (الطبري، 2000) في تفسير هذه الآية "وأرى أن الله تعالى ذكّره إنما وصفهم بأنهم "وسط"، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقولهم في عيسى ما قالوا فيه ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدّلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبّ الأمور إلى الله أوسطها" (ج3، ص142).

ثانياً: النصوص الشرعية التي جاءت صريحة في النهي عن التفاخر في البنيان كقوله ﷺ (...وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعَرَاءَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبَنِيَانِ)، (مسلم، د.ت)، (كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، جزء من الحديث رقم: 8، ج1، ص36-37)، يقول (ابن رجب، 2001) في شرح هذا الحديث "والمراد: أن أسافل الناس يصيرون رؤساءهم، وتكثر أموالهم حتى يتباهون بطول البنيان وزخرفته وإتقانه". (ج1، ص137). وهذا لا يعني النهي عن رفع البناء في السماء وتطويله إن كان هناك حاجة أو ضرورة في ذلك، وإنما النهي عن التباهي بها والتفاخر في تطويلها من غير داع أو سبب؛ حيث راعت العمارة الإسلامية الاحتياجات الأساسية للإنسان، ووفّرت له الخصوصية والراحة والوظيفة، دون إسراف أو تكلف، فالمسكن لم يكن مجرد مأوى، بل بيئة تربوية وروحية تنعكس فيها قيم الإسلام من بساطة وتواضع.

من هنا، يتّضح أن العمارة الإسلامية لم تكن أبداً أداة للتفاخر أو استعراض المكانة الاجتماعية، بل كانت وسيلة لبناء مجتمع متوازن، متحرر من سلطة المظاهر، متوجّه نحو المعاني والقيم، وهي بذلك تُسهم في تربية الفرد على الاعتدال، والرضا، والتواضع، وتنأى به عن التعلق بالمادة أو المباهاة بما لا ينفع.

- انعكاسات البساطة والاقتصاد في البنيان على تربية الأطفال: تنعكس مبادئ البساطة والاقتصاد في العمارة الإسلامية انعكاساً مباشراً وعميقاً على تربية الأطفال داخل الأسرة، إذ تُسهم البيئة المعمارية المتزنة، التي تبتعد عن مظاهر التفاخر والإسراف، في ترسيخ عدد من القيم التربوية والسلوكية التي تُشكل أساس بناء شخصية سوية ومتزنة؛ فمن خلال نشأة الطفل في فضاء معماري يقوم على الاعتدال في التشييد، والتناسق في الجمال، وتجنّب المظاهر الزائفة، يتشرب الطفل بصورة تلقائية قيمة التواضع، ويتعلّم أن كرامة الإنسان ومكانته لا تُقاس بمظهر البيت أو زخرفته، بل بأخلاقه وسلوكه وعلاقته بالآخرين، كما تُغرس فيه منذ الصغر فضيلة القناعة، إذ لا يُربّى على التعلق بالماديات، بل على الرضا والاكتفاء بما يكفي دون تكلف، علاوة على ذلك، فإن هذه البيئة البسيطة تُوجّه انتباه الطفل إلى الجوهر بدل المظهر، وتُبعدة عن ثقافة الاستعراض والتفاخر، خاصة في عصر باتت فيه القيم الاستهلاكية تهيمن على أنماط العيش. كما تُسهم في تنمية الحس الاجتماعي لديه، إذ تُربّيه على العدالة والرحمة والشعور بالآخرين، بدلاً من التمايز الطبقي والتنافس المظهري، ومن أبرز ما تمنحه هذه البيئة كذلك، هو ضبط النفس والبعد عن الأنانية، لأن البساطة المعمارية تُقلّل من الانشغال بالماديات، وتُوجّه الطفل نحو معاني أسمى، كالإخلاص، والتفكير، والتواضع، مما يُعزز لديه سلاماً داخلياً واستقراراً نفسياً يدعمان نموه السليم.

• الفرع الثاني تحفيز التربية السلوكية لدى الأفراد:

تُعَدُّ العمارة الإسلامية نموذجًا حضاريًا فريدًا، لا يكفي بتلبية الحاجات المادية للإنسان، بل يتجاوز ذلك إلى أداء وظيفة تربية وأخلاقية عميقة، تُسهم في صياغة سلوك الأفراد وتشكيل وجدانهم، فالبيئة المعمارية ليست مجرد إطار صامت للسكن والمعيشة، بل هي عامل مؤثر في بناء الشخصية، وفي غرس القيم التي تتجسّد مع مرور الوقت في السلوك اليومي للفرد، من خلال ما تتيحه من تنظيم، وما تبتّه من رمزية، وما تفرضه من ممارسات حياتية، وقد أولى الفكر المعماري الإسلامي أهمية كبيرة لتهذيب السلوك الإنساني من خلال تصميم الفضاءات بصورة تحقّق التوازن بين الخصوصية والانفتاح، وبين الفرد والمجتمع، وبين الروح والمادة، فانعكس ذلك في طريقة توزيع البيوت، وتنظيم المرافق، وتحديد المسارات داخل المنزل، ويتجسّد ذلك من خلال:

أ- تهيأت أماكن خاصة للضيوف:

يُعَدُّ تهيأت أماكن خاصة لاستقبال الضيوف من أبرز السمات التي تميز العمارة الإسلامية، ويُعبّر عن وعي حضاري عميق بقيمة الضيافة ومكانتها في الإسلام، حيث تُعدّ من مكارم الأخلاق التي دعا إليها الدين، وربطها بالإيمان، كما في قوله ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه). (البخاري، 2001، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف، وخدمته إياه بنفسه، جزء من الحديث رقم: 6135، ج 8، ص 32). وقد اهتمت العمارة الإسلامية بترجمة هذه القيمة إلى واقع ملموس، من خلال تصميم فضاءات مخصصة للضيافة تُراعي جانبين مهمين: الكرم والانفتاح الاجتماعي من جهة، وحفظ الخصوصية والسكينة لأهل البيت من جهة أخرى، وهذا ما يؤكده النبي ﷺ عندما يقول: (فراش للرجل، وفراش لامرأته، والثالث للضيف، والرابع للشيطان)، (مسلم، (د.ت)، كتاب اللباس والزينة، باب كراهة ما زاد على الحاجة من الفراش واللباس، حديث رقم: 2084، ج 3، ص 1651). هذا الحديث وإن جاء في النهي عن الإكثار في اتخاذ القُرُش والأمتعة والآلات داخل البيت، إلّا أن فيه دلالة صريحة على أن الضيف يجب أن يتمتع بأرحية تامة وخصوصية مطلقة عند مضيفه؛ بحيث لا يحتاج معها في كل مرة إلى إحراج مضيفه والإكثار عليه في الاستئذان بالخروج أو الدخول أو الذهاب إلى الحمام، أو غير ذلك من الأمور التي قد يتحرج الضيف في طلبها أو يخرج مضيفه في الاستئذان فيها، ومن هذا المنظور فإن العمارة الإسلامية راعت في تصميمها تخصيص أماكن مستقلة أو شبه مستقلة لاستقبال الضيوف.

- انعكاسات تخصيص أماكن للضيوف في البيت على تربية الأطفال: إن تخصيص فضاء مستقل داخل البيت لاستقبال الضيوف لا

يُعتبر مجرد استجابة لوظيفة اجتماعية، بل له أبعاد تربوية عميقة، خصوصًا في تأثيره على تنشئة الأطفال سلوكيًا. فالطفل الذي ينشأ في بيت يُراعي الفصل بين أماكن الضيافة وخصوصيات الأسرة، يتعلّم من خلال التجربة اليومية عددًا من السلوكيات الأخلاقية المهمة، مثل احترام خصوصية الآخرين، التمييز بين الفضاءات العامة والخاصة، الانضباط في الحركة داخل المنزل، والتعامل الراقي مع الضيوف، كما تُوفّر هذه البيئة التربوية فرصة لتدريب الطفل على آداب الضيافة، واللياقة الاجتماعية، والكرم في المعاملة، وهو ما يسهم في صقل شخصيته، وتعزيز وعيه الاجتماعي، وتوجيه سلوكه نحو الانضباط والاحترام والتقدير للآخر، وهكذا تُظهر العمارة الإسلامية من خلال هذا التفصيل البسيط كيف يمكن للفضاء أن يكون أداة تربوية فعالة، تُسهم في بناء شخصية متوازنة ومنسجمة مع القيم الإسلامية في واقع الحياة اليومية.

ب- الفصل بين الأبناء الذكور والإناث:

جاءت العمارة الإسلامية لتكون انعكاسًا حيًا للمبادئ الشرعية والقيم الاجتماعية التي ينادي بها الإسلام، فلم تكن مجرد فن زخرفي أو أداة وظيفية، بل وسيلة عملية لترجمة مفاهيم مثل الحياء، والخصوصية، وتنظيم العلاقات داخل الأسرة والمجتمع، ومن أبرز تطبيقات هذه القيم، الفصل بين الأبناء الذكور والإناث داخل البيوت، لا سيما في أماكن النوم والمعيشة، انسجامًا مع التوجيهات النبوية التي تدعو إلى التربية على الحياء والخصوصية منذ سن مبكرة، وهذا الفصل ليس مجرد سمة معمارية، بل هو جزء لا يتجزأ من تكامل الأبعاد الشرعية والاجتماعية التي تهدف إلى الحفاظ على الخصوصية، والاحترام المتبادل بين الأفراد، ويستند هذا التفريق المعماري إلى توجيهات شرعية واضحة من ذلك قول النبي ﷺ: (مروا أولاكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع)، (أبو دود، 2009م، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث رقم: 495، ج1، ص367). يقول (العيني، 1999) في شرح هذا الحديث "في المراقدة؛ وذلك لأنهم إذا بلغوا إلى عشر سنين يقربون من أدنى حد البلوغ، وينتشر عليهم آلاهم - أعضائهم الجنسية-، فيخاف عليهم من الفساد". (ج2، ص416).

ومن المهم التأكيد على أن هذا الفصل المعماري لا يعني تمييزًا أو تفضيلًا لأحد الجنسين على الآخر، بل هو تطبيق لمبدأ العدالة التربوية، حيث يُراعى الفارق في الطبيعة النفسية والجسدية بين الذكور والإناث، مع الحفاظ على التكافؤ في الحقوق، والفرص، والمشاعر داخل الأسرة.

- انعكاسات الفصل بين الأبناء الذكور والإناث على تربية الأطفال: يسهم الفصل المكاني بين الأبناء الذكور والإناث في تعزيز منظومة القيم التربوية داخل الأسرة، وعلى رأسها قيمة الحياء، إذ ينشأ الطفل في بيئة تراعي الخصوصية الجسدية والسلوكية، مما يُرسخ لديه هذه القيمة كسلوك فطري يومي، ويُثَمِّي في ذاته احترامًا لحدود الآخرين ومكانته الفردية، كما يُعلِّم هذا الفصل الأبناء أن يوجد حدود واضحة في التعامل بين الجنسين، حتى داخل المحيط الأسري، وهو ما يُهيئهم لاكتساب أنماط سلوكية ناضجة ومتوازنة في علاقاتهم الاجتماعية المستقبلية، ومن جهة أخرى، فإن اعتماد هذا المبدأ في التصميم المعماري للأسرة الإسلامية يُعدّ وسيلة وقائية فعالة للحدّ من الاحتكاك الحسي أو البصري غير المناسب، خاصة في المراحل العمرية الحرجة، مما يُقلِّل من فرص انحراف السلوك أو تطور الميلول غير السويّة، وكما يُسهم هذا النمط من التنشئة في ترسيخ الخصوصية كقيمة حياتية أساسية، حيث يتعلّم الطفل احترام المساحات الشخصية منذ الصغر، الأمر الذي ينعكس إيجابًا على تفاعلاته وعلاقاته الزوجية والاجتماعية في المستقبل.

المطلب الثالث أثر العمارة الإسلامية على المستوى الجماعي داخل الأسرة

تُعدّ العمارة الإسلامية تجليًا ملموسًا لمقاصد الشريعة الإسلامية في بناء الإنسان والمجتمع، إذ لا تقف عند حدود الأداء الوظيفي في توفير المأوى، بل تتجاوز ذلك لتؤثر في تشكيل البناء النفسي والاجتماعي داخل الأسرة، وتُسهم في ترسيخ القيم التربوية من خلال تنظيم الفضاء المعماري بما ينسجم مع التصور الإسلامي للأسرة بوصفها نواة المجتمع. ومن هذا المنطلق، فإن البيت المسلم لا يُبنى فقط بجدران وأبواب، وإنما يُصاغ وفق هندسة تراعي الخصوصية، وتعزّز التماسك، وتُهيئ بيئة آمنة للتربية على المبادئ الإيمانية والسلوكية.

هذا، ويُعتبر المسكن الواسع من أهم العوامل التي تؤثر على تحديد نمط العلاقات داخل الأسرة، إذ يرتبط مباشرةً بجودة الحياة الأسرية وتماسكها. وقد عبّرت العمارة الإسلامية عن هذا المفهوم من خلال تصميم منازل تراعي ليس فقط وفرة المساحة، بل أيضًا حسن توزيع الفضاءات، ومرونة استخدامها، وقدرتها على استيعاب التفاعل الأسري اليومي.

من أبرز الأمثلة على ذلك: الفناء الداخلي الذي تحيط به غرف البيت، ويُعرف في الجزائر بـ"الحوش" أو "العرصة"، وفي اللغة الأمازيغية تسمى هذه البيوت بـ"ثَرْقَة"، لم يكن هذا الفناء عنصرًا جماليًا فحسب، بل كان القلب النابض للبيت؛ إذ يجتمع فيه أفراد الأسرة لممارسة حياتهم اليومية، وتبادل الأحاديث، وتقوية روابط الألفة والانتماء، في جوّ بعيد عن الانغلاق أو التفكك.

وقد استمدت العمارة الإسلامية هذا الفهم العميق لأثر الفراغات الواسعة، وهذه العقيدة في القوة التأثيرية للتوسع، من التصور الإسلامي للمسكن ككتلة واحدة، كما يظهر في حديث النبي ﷺ عندما يقول: (أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء. وأربع من الشقاوة: الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء). (ابن حبان، 1993، حديث رقم: 4032، ج 9، ص 340-341). ومن منطلق هذه الخلفية التي تربط السعادة بالتوسع والشقاء بالضيق، سعت العمارة الإسلامية إلى تجسيد هذا التصور من خلال توفير فراغات داخل البيت وليس خارجه على غرار مثيلتها في الحضارات الأخرى، خاصة في المدن التي تكون فيها البيوت متلاصقة، ولقد سمح مثل هذا التجسيد على المحافظة:

- أولاً على خصوصية العائلة وحرمة سكانها:

حيث يمكن هذا الفراغ داخل البيت أفرادها من التنقل بين غرفه وبين مختلف مرافقه، وقضاء حوائجهم بكل أريحية وفي منتهى الخصوصية بعيداً عن أعين المتربصين من خارج البيت، ولهذا نجد النبي ﷺ شدد النهي على التطر إلى الداخل وذلك في قوله ﷺ (من اطلع في دار قوم غير إذنهم ففقؤوا عينه، فقد هدرت عينه). (أبو دود 2009، كتاب النوم، باب الاستئذان، حديث رقم: 5172، ج 7، ص 475) ونقل (البخاري 2001)، أن رجلاً اطلع على النبي ﷺ من غير إذنه وهو في حجرة من حجرات أزواجه، فغضب النبي ﷺ لذلك كثيراً، وخرج إليه بمشقص وهو نصل السهم يهدده بها تأديباً له. (كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر، حديث رقم: 6242، ج 8، ص 54). كل هذا التشديد في النهي على النظر إلى داخل البيوت، جوهره الحفاظ على خصوصية البيوت وحرمة ساكنيها، ترجم في العمارة الإسلامية من خلال إنشاء هذه الفراغات داخل البيوت.

- ثانياً توفير متنفس للعائلة، وتعزيز روابطها:

حيث يمكن هذا الفراغ داخل البيت من خلق مجالس لتجاذب أطراف الحديث بعيداً عن ضيق الغرف وحساسية أصحابها إذا كانت خاصة بالذكور أو الإناث أو حتى الأبوين؛ حيث يلتقي فيها الأب مع أبنائه، وتلتف الأسرة حول بعضها البعض، ويُنشئ من خلالها الوعي الجماعي، وتُنقل القيم، وتُنقاش الأمور الأسرية، وبهذا تكون العمارة الإسلامية تجسيدا لقوله ﷺ (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)، (الترمذي، 1975، أبواب المناقب، باب في فضل أزواج النبي ﷺ، جزء من حديث رقم: 3895، ج 5، ص 709). فإنشاء مثل هذه الفراغات التي تسهم في خلق هكذا مجالس من أحسن الصور وأفضلها لتحقيق خيرية العائلة التي قصدها النبي ﷺ بحديثه فالخيرية هنا لا تُمارس في فراغ، بل في فضاء معيش يُشجّع على اللقاء، ويُسهّم في تهيأت السياق النفسي والاجتماعي الذي يسمح بظهورها. وفي المجمل، يُمكن من خلال كل ما سبق القول إن العمارة الإسلامية قد أدّت دوراً حاسماً في تشكيل بنية الأسرة المسلمة، ليس فقط على مستوى الخصوصية أو التنظيم الداخلي، بل على مستوى توجيه العلاقات، وتعزيز التربية الجماعية، وتحقيق السكنية

والاستقرار، ما يجعل منها تجسيداً معمارياً للمبادئ الإسلامية في بناء الأسرة، ومكوّناً حيويّاً في المشروع التربوي والاجتماعي الذي يتبنّاه الإسلام.

- انعكاسات توفير فراغات داخلية على تربية الأطفال: ومما لا شك فيه أن هذه الخصائص المعمارية، كما تمّ عرضها في هذا المطلب، لا تقف عند حدود الراحة المادية أو مراعاة الخصوصية فحسب، بل تمتدّ آثارها إلى الجانب التربوي في حياة الأسرة، لا سيّما في تنشئة الأبناء. إذ إنّ وجود فضاء داخلي مشترك يلتقي فيه أفراد العائلة بشكل يومي، يُسهم في ترسيخ القيم الأسرية وتعزيز روح الانتماء، كما يوفّر بيئة تربوية محفّزة تنتقل فيها السلوكيات والمفاهيم بطريقة تلقائية عبر التفاعل والمعايشة، فالطفل في هذا السياق لا يتلقّى القيم عن طريق التوجيه المباشر فقط، بل يراها مُمارسة داخل محيطه اليومي، من خلال القدوة، والتواصل، والحوار الأسري. وهذا من شأنه أن يُرسّخ لدى الأبناء تصوّراً متوازناً عن العلاقات الأسرية، ويُحصّنهم من الانغلاق أو الانحراف، الذي قد ينشأ في بيئات تفتقر إلى مثل هذا الفضاء الداعم.

ومن ثمّ، فإن العمارة الإسلامية بمكوّناتها الداخلية، أسهمت في أداء وظيفة تربوية أصيلة، جعلت من البيت المسلم مركزاً فعّالاً لبناء الشخصية المسلمة، وتشكيل هويتها على أسس دينية واجتماعية متينة.

المطلب الرابع أثر العمارة الإسلامية في التأسيس للعلاقات الجوارية

تُعَدّ العلاقة الجوارية من الركائز الأساسية التي يقوم عليها البناء الاجتماعي في التصور الإسلامي، إذ تمثل الجيرة إطاراً مباشراً للتفاعل اليومي بين الأفراد، وتتطلب قدرّاً عالياً من الاحترام والمراعاة، وتحقيق التوازن في الحقوق والواجبات. وقد أولى الإسلام هذه العلاقة أهمية بالغة، عبّر عنها النبي ﷺ بقوله: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه). (صحيح البخاري، كتاب الأدب، حديث رقم: 6015). ولفظ الجار في المفهوم الإسلامي يشمل جميع فئات الناس، سواءً كان مسلماً أو غير مسلم، صالحاً أو فاسقاً، صديقاً أو عدوّاً، من أهل البلد أو من الغريباء. (القسطلاني، 1905، ج9، ص24). وهذا الاتساع في المفهوم يدل على عمق الأثر الذي تحدّثه علاقة الجوار في بنية المجتمع واستقراره.

وانطلاقاً من هذه المكانة، حرصت العمارة الإسلامية على تجسيد هذا البعد الاجتماعي في تنظيم الفضاء العمراني، فجاءت تصاميمها وهيكلها المادية لترسخ مبادئ الاحترام المتبادل، والتكامل بين المساكن، وتجنب الإضرار بالجار. فلم تكن العمارة الإسلامية مجرد فن للبناء، بل كانت وسيلة لضبط العلاقة بين الإنسان ومحيطه، وتجسيدها عملياً لقيمة حسن الجوار بوصفها قيمة اجتماعية ذات بعد حضاري.

وتُعَدّ القصبات في الجزائر مثلاً حياً على هذا التوجه، إذ بُنيت المنازل فيها بشكل متراص ومنظّم يراعي هذه المبادئ، ويظهر هذا بوضوح في قصبة الجزائر العاصمة، وقصبة دلس بولاية بومرداس، وقصبة بجاية، وقصبة قسنطينة، وغيرها من القصبات الموزعة عبر التراب الوطني. فعندما نتأمل قصبة العاصمة مثلاً في (الصورة رقم 1) نلاحظ تشابه البيوت في نخطها المعماري، وتقاربها في الارتفاع بما يضمن توزيعاً متناسقاً لكمية الضوء والهواء على جميع البيوت، وفي (الصورة رقم 2) نلاحظ اتباعها نظاماً دقيقاً في توزيع الأبواب والنوافذ، بما يحفظ خصوصية السكان ويمنع التداخل البصري. هذا، وقد حظيت هذه القصبة بتقدير عالمي حين صُنّفت ضمن التراث العالمي من قبل منظمة اليونسكو منذ سنة 1992 (موقع اليونسكو، 2025). ويظهر كذلك ذات النمط المعماري بوضوح في مدن الإباضية في

وادي ميزاب كما في (الصورة رقم 3)، حيث أسّس الإباضية نمطاً عمرانياً يعكس التزامهم بقيم الخصوصية وحرمة الجار (أحمد، 2024، ص309-310).

وبشكل عام، حرصت العمارة الإسلامية على تحقيق العدالة في توزيع الضوء والهواء بين البيوت المتجاورة، من خلال تشييد المباني على مستويات وارتفاعات متقاربة، كما ابتكرت حلولاً معمارية ذكية، وذلك من خلال الأبواب المنكسرة وبناء النوافذ على ارتفاعات مختلفة من بيت إلى آخر مع وضع نظام الأعمدة المتشابكة عليها؛ حيث ضمن هذا عدم مواجهة الأبواب لبعضها البعض، وتجنّب توجيه النوافذ نحو مساكن الجيران، حفاظاً على الخصوصية، وصوناً لحرمة البيوت. (منصور، أحمد، 2020، ص237-238).

وتستمد المبادئ التي قامت عليها العمارة الإسلامية في تنظيم العلاقات الجوارية جذورها العميقة من تعاليم الشريعة الإسلامية، التي أولت صون الجوار واحترام الخصوصية عناية خاصة، وقد تجلّى ذلك في أحاديث نبوية شريفة أرست قواعد واضحة تحكم سلوك الأفراد داخل المجال العمراني، من ذلك ما رواه النبي ﷺ: (ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه). (البيهقي، 2003، باب إكرام الجار، جزء من حديث رقم: 9113، ج12، ص104)، وهو نص نبوي يُظهر بشكل جليّ حرمة التعدي العمراني على حقوق الجار، خاصة ما يتعلق بحق الانتفاع بالهواء والضوء، اللذين يشكلان عنصرين أساسيين في راحة السكن وصحة الإنسان. وفي حديث آخر قال ﷺ: (إنما جعل الاستئذان من أجل البصر). (كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر، جزء من حديث 6241، ج8، ص54)، وهو تأكيد واضح على ضرورة احترام حرمة البصرية للمنازل، ومنع أي شكل من أشكال التطفل أو التلصص، مما انعكس مباشرة على الأسس التصميمية للمساكن الإسلامية.

ورغم ما قد يبدو من بساطة في هذه التوجيهات، فإنها شكّلت قاعدة راسخة لبناء مجتمع متماسك ومتضامن، يقوم على مبادئ الاحترام المتبادل والخصوصية المتبادلة. كما أسهمت في صياغة بيئة عمرانية متناغمة، تتوافق فيها الاعتبارات الشرعية مع الوظائف الجمالية والنفسية للمكان، بما يعكس الطابع الشمولي للعمارة الإسلامية، التي لم تنفصل عن القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تنادي بها الشريعة.

- انعكاسات التأسيس للعلاقات الجوارية في العمارة الإسلامية على تربية الأبناء: ومن أبرز الانعكاسات الاجتماعية التي نتجت عن مبادئ العمارة الإسلامية في تنظيم العلاقات الجوارية، تأثيرها الإيجابي على تربية الأبناء. فقد ساهم احترام خصوصية الجار، وتجنّب التعدي البصري أو العمراني، في خلق بيئة سكنية تُرسّخ في الأطفال منذ الصغر مبادئ الاحترام والحياء وضبط النفس؛ فحين ينشأ الطفل في بيت لا تُواجه أبوابه أبواب الجيران، ولا تطل نوافذه مباشرة على بيوتهم، فإنه يتشرب -بطريقة غير مباشرة- قيمة احترام الآخرين وحدودهم، كما أن العدالة في توزيع الضوء والهواء بين البيوت، والابتعاد عن الأنانية المعمارية، يزرع في الأبناء روح الإنصاف والعدل، ويُعلّمهم أن ممارسة الحقوق يجب ألا تكون على حساب حقوق الغير، وإلى جانب ذلك، تضمن هذه البيئة الهادئة -المحمية من أعين المتطفلين وأصوات الخارج- قدرًا عاليًا من الاستقرار النفسي داخل الأسرة، مما ينعكس إيجابًا على التنشئة السليمة للأطفال. وبهذا، فإن العمارة الإسلامية لا تؤسس فقط لتوازن عمراني، بل تسهم بشكل فعّال في بناء شخصية سوية تقوم على القيم الاجتماعية والدينية الرفيعة.

ملاحق



صورة رقم 1، صورة لأعالي القصبة، المصدر: <https://www.rfi.fr/fr/emission/20150819-algerie-casbah-alger-unesco-patrimoine>

cite، يوم 2025/09/05



صورة رقم 2 صورة شارع من شوارع القصبة، المصدر: <https://web.facebook.com/photo/?fbid>، يوم: 2025/09/05



صورة رقم 3 إحدى مدن الإباضية في واد مزاب. المصدر: www.tripadvisor.fr/Attractions-g293717-Activities-c42-Algeria.html يوم: 2025/09/05.

خاتمة:

في ختام هذا البحث، يمكن استخلاص جملة من النتائج والدلالات التي تُبرز البعد التربوي والاجتماعي للعمارة الإسلامية، وتؤكد دورها في بناء الإنسان والمجتمع على أسس متوازنة ومستمدة من قيم الشريعة الإسلامية مقاصدها، ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1. لم تقتصر العمارة الإسلامية على البعد الجمالي أو الوظيفي، بل شكّلت امتداداً عملياً لتصور الإسلام حول العمران، حيث سعت إلى تحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية، من خلال تنظيم الفضاء بما يضمن الخصوصية، والكرامة، والاستقرار النفسي.
2. وفّرت العمارة الإسلامية من خلال عناصر مثل: الفناء الداخلي، فضاءً للتلاقي الأسري اليومي، ما جعلها حاضنة طبيعية للقيم الأسرية، ومكاناً يُمارس فيه التوجيه التربوي بصورة غير مباشرة، عبر التفاعل والمعايشة، مما يدعم بناء شخصية متوازنة للأبناء.
3. أظهر التصميم الإسلامي حساسية عالية تجاه الخصوصية، من خلال تنظيم المداخل، وتوزيع الغرف، ومنع التداخل البصري. وقد أسهم ذلك في ترسيخ سلوكيات الحياء، والانضباط، واحترام الآخر، ضمن السياق الأسري، مما له أثر مباشر على التنشئة التربوية.
4. حرصت العمارة الإسلامية على ترسيخ علاقة سليمة بين الجيران، من خلال تنظيم الفضاءات الخارجية، وتوحيد ارتفاعات المباني، وضبط توزيع النوافذ والأبواب، بما يحفظ الخصوصية، ويضمن العدالة في التهوية والإنارة. وقد ساعد هذا في غرس قيم الاحترام، والتكافل، وضبط النفس لدى الأطفال منذ الصغر.

5. إن التنشئة في فضاء عمراني منضبط أخلاقياً واجتماعياً تترك أثراً بالغاً في تشكيل وعي الطفل بالحدود، والحقوق، والواجبات، كما تُسهم في ترسيخ مبادئ العدل، والمساواة، والرحمة، من خلال تجربة يومية معاشة، داخل المنزل وخارجه.
6. العمارة في التصور الإسلامي ليست حيادية أو عشوائية، بل هي تعبير مادي عن رؤية روحية واجتماعية متكاملة، تهدف إلى بناء مجتمع متوازن، تبدأ نواته من البيت، وتتمدد لتشمل الحي والمدينة، في انسجام تام مع القيم الإسلامية.
- وفي الأخير، يمكن القول إن استلهاام الخصائص المعمارية الإسلامية لا ينبغي أن يُنظر إليه كمجرد حنين إلى الماضي أو تمسك بأشكال تقليدية، بل هو استجابة حضارية معاصرة لحاجة الإنسان إلى بيئة عمرانية تعبّر عن قيمه، وتُعزز استقراره النفسي، وتُسهم في تنشئته المتوازنة. فالعمارة الإسلامية، بما تحمله من أبعاد وظيفية وتربوية وروحية، تُعدّ مكوناً أصيلاً من الحلول الممكنة في مواجهة التحديات الاجتماعية والتربوية التي يعيشها الإنسان المعاصر، ولا تقتصر على كونها إطاراً مادياً للسكن أو ممارسة الحياة اليومية.

- توصيات البحث:

- ضرورة تشجيع المهندسين المعماريين والمخططين العمرانيين في المجتمعات الإسلامية على استلهاام القيم التربوية والاجتماعية للعمارة الإسلامية في التصميم الحديثة، بما يعزز من وظائفها النفسية والأسرية، إلى جانب الوظائف التقنية والجمالية.
- إدراج مبادئ العمارة الإسلامية في مناهج التعليم العمراني والهندسي في الجامعات، مع التركيز على الأبعاد التربوية والاجتماعية لهذه العمارة، لخلق وعي معماري منسجم مع الهوية الثقافية والقيم الإسلامية.
- تعزيز البحث العلمي متعدد التخصصات بين مجالات العمارة، وعلم الاجتماع، والتربية الإسلامية، لاستكشاف سبل الاستفادة من النمط المعماري الإسلامي في معالجة الإشكالات التربوية والاجتماعية المعاصرة داخل الأسر والمجتمعات.
- تشجيع حملات توعوية في الأوساط المجتمعية حول أهمية تصميم البيوت بما يراعي الخصوصية الأسرية، ويعزز التفاعل الجماعي بين أفراد الأسرة، لما لذلك من أثر مباشر على الاستقرار الأسري والتنشئة السليمة للأطفال.

المصادر والمراجع:

1. ابن حبان، محمد بن حبان، (1414هـ = 1993م)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.
2. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (1417هـ = 1996م)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط: 1، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية، دار الحرمين.
3. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (1984)، مقدمة ابن خلدون، دار القلم.
4. ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد. (1422هـ = 2001م)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ط: 7، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة.
5. أبو داود، سليمان بن الأشعث. (1430هـ = 2009م)، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية.
6. البخاري، محمد بن إسماعيل، (2001)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة.
7. البيهقي، أحمد بن حسين، (1423هـ = 2003م)، شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد، الدار السلفية، ط: 1.

8. حاج إسماعيل، ص. (2022، أبريل 20)، هل أنتج المسلمون عمارةً إسلاميةً على مَرَّ العصور؟ مجلة رواء، (14)، تم الاطلاع في: 03 أبريل، 2025، من <https://rawaamagazine.com/>
9. حميدة أحمد، (2024)، جماليات العمارة عند ميزاب، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، جامعة زيان عشور الجلفة، المجلد 17، العدد 1.
10. ريتشارد إتنغهاوزن، أوليف غرابار، ماريلين جنكينس مدينة، (2012)، الفن الإسلامي والعمارة، ترجمة: عبد الودود بن عامر العمراني، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، دار الكتب الوطنية.
11. سماح صبحي منصور، دينا مصطفى أحمد (2020)، القيم الإنسانية على العمارة الإسلامية: دراسة مقارنة لحقوق الجوار وتأثيرها على العمارة الإسلامية، مجلة التصميم الدولية، مجلد 10، عدد 1، 233-240.
12. الشعراوي، محمد متولي. (1997)، تفسير الشعراوي (الخواطر)، مطابع أخبار اليوم.
13. الطبري، محمد بن جرير. (1420هـ = 2000م)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة.
14. العيني، بدر الدين بن أحمد. (1420هـ = 1999م)، شرح سنن أبي داود، تحقيق: خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد.
15. مالك بن نبي. (2000)، القضايا الكبرى، إشراف: ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، دار الفكر.
16. مسلم بن الحجاج. (د.ت)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
17. الجزائر في بلادي. (n.d). [صورة فوتوغرافية]. Facebook. <https://web.facebook.com/photo/?fbid=10153620054793968&set=pcb.10153620056663968>
18. Radio France Internationale. (2015, août 19). Algérie: la Casbah d'Alger classée au patrimoine de l'Unesco. RFI. Retrieved April 26, 2025, from <https://www.rfi.fr/fr/emission/20150819-algerie-casbah-alger-unesco-patrimoine-cite>
19. Tripadvisor. (n.d.). Visites guidées à Algérie. Tripadvisor. <https://www.tripadvisor.fr/Attractions-g293717-Activities-c42-Algeria.html>
20. UNESCO World Heritage Centre. (n.d.). Kasbah of Algiers. Retrieved April 25, 2025, from <https://whc.unesco.org/en/list/565/>

References :

1. Ibn Ḥibbān, Muḥammad ibn Ḥibbān, (1414h = 1993M), *Ṣaḥīḥ Ibn Ḥibbān bi-tartīb Ibn Balabān, taḥqīq : Shu'ayb al-Arna'ūt, Mu'assasat al-Risālah*.
2. Ibn Ḥajar al-'Asqalānī, Aḥmad ibn 'Alī. (1417h = 1996m), *Fath al-Bārī sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, T : 1, taḥqīq : Maḥmūd ibn Sha'bān ibn 'Abd al-Maqṣūd wa-ākharūn, Maktabat al-Ghurabā' al-Atharīyah, Dār al-Ḥaramayn*.
3. Ibn Khaldūn, 'Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad. (1984), *muqaddimah Ibn Khaldūn, Dār al-Qalam*.
4. Ibn Rajab, 'Abd al-Raḥmān ibn Aḥmad. (1422h = 2001M), *Jāmi' al-'Ulūm wa-al-Ḥikam fī sharḥ khamsīn ḥadīthan min Jawāmi' al-Kalim, T : 7, taḥqīq : Shu'ayb al-Arna'ūt, Ibrāhīm Bājis, Mu'assasat al-Risālah*.
5. Abū Dāwūd, Sulaymān ibn al-Ash'ath. (1430h = 2009M), *Sunan Abī Dāwūd, taḥqīq : Shu'ayb al-Arna'ūt, Muḥammad Kāmil Qarah bily, Dār al-Risālah al-'Ālamīyah*.
6. al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā'īl, (2001), *al-Jāmi' al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar min umūr Rasūl Allāh ﷺ wa-ṣunnah wa-ayyāmuh (Ṣaḥīḥ al-Bukhārī), taḥqīq : Muḥammad Zuhayr ibn Nāṣir al-Nāṣir, Dār Ṭawq al-najāh*.
7. al-Bayhaqī, Aḥmad ibn Ḥusayn, (1423h=2003), *sha'b al-īmān, taḥqīq : 'Abd al-'Alī 'Abd al-Ḥamīd Ḥamīd, Mukhtār Aḥmad al-Nadwī, Maktabat al-Rushd, al-Dār al-Salafiyyah, T : 1*.
8. Ḥājj Ismā'īl, Ṣ. (2022, Afrīl 20), *Hal antj al-Muslimūn 'mārtan islāmytan 'alā mrr al-'uṣūr? Majallat Riwā', (14), tamma al-iṭtilā' fī : 03 Afrīl, 2025, min https : // rawaamagazine. com /*
9. Ḥamīdah Aḥmad, (2024), *Jamālīyāt al-'Imārah 'inda Mīzāb, Majallat al-Ḥuqūq wa-al-'Ulūm al-Insānīyah, Jāmi'at Zayyān 'shwr al-Jaflah, al-mujallad 17, al'dd1*.
10. Rīṭshārd itnghāwzn, awlygh ghrābār, mārylyn jnkyns Madīnat, (2012), *al-fann al-Islāmī wa-al-'imārah, tarjamat : 'Abd al-Wadūd ibn 'Āmir al-'Umrānī, Hay'at Abū Zaby lil-Siyāḥah wa-al-Thaqāfah, Dār al-Kutub al-Waṭanīyah*.



11. Samāḥ Ṣubḥī Maṣṣūr, Dīnā Muṣṭafā Aḥmad (2020), *al-Qayyim al-Insānīyah 'alā al-'Imārah al-Islāmīyah : dirāsah muqāranah li-Ḥuqūq al-jiwār wa-ta'thīrūhā 'alā al-'Imārah al-Islāmīyah*, Majallat al-taṣmīm al-Dawlīyah, mjld10, 'ddl, 233 – 240.
12. al-Sha'rāwī, Muḥammad Mutawallī. (1997), *tafsīr al-Sha'rāwī (al-khawāṭir)*, Maṭābi' Akhbār al-yawm.
13. al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. (1420h = 2000M), *Jāmi' al-Bayān fī Ta'wīl al-Qur'ān*, taḥqīq : Aḥmad Muḥammad Shākir, Mu'assasat al-Risālah.
14. al-'Aynī, Badr al-Dīn ibn Aḥmad. (1420h = 1999M), *sharḥ Sunan Abī Dāwūd*, taḥqīq : Khālīd ibn Ibrāhīm al-Miṣrī, Maktabat al-Rushd.
15. Mālik ibn Nabī. (2000), *al-qaḍāyā al-Kubrā, ishrāf : Nadwat Mālik ibn Nabī, Dār al-Fikr al-mu'aṣir, Dār al-Fikr*.
16. Muslim ibn al-Ḥajjāj. (D. t), *al-Musnad al-ṣaḥīḥ al-Mukhtaṣar bi-naql al-'Adl 'an al-'Adl ilā Rasūl Allāh* □, taḥqīq : Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī, Dār Ihya' al-Turāth al-'Arabī